خلاصة تحليلات

القتال المشترك في معركة تحرير سوريا

المصدر: مركز الإتحاد للأبحاث والتطوير

تاريخ الإصدار: 02 أيار/ مايو 2023

القتال المشترك في معركة تحرير سوريا

5-2-2023

شكّل دخول إيران إلى سوريا منعطفًا في مسار الحرب التي بدأتها الأخيرة ضد التنظيمات الإرهابيّة، قدّمت طهران دعمًا عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا للحفاظ على وجود النظام السوري وصمود الشعب، إلى أن تبلور محور المقاومة الذي أصبح يتصدّى للدفاع ليس عن سوريا فحسب إنما عن الدول الحليفة وهي فلسطين والعراق واليمن ولبنان.

في قراءات الصحف ومراكز الأبحاث لدخول إيران إلى الحرب في سوريا، ركّزت الإصدارات الغربيّة على فكرة مفادها أن إيران تدافع عن أمنها الاستراتيجي، فيما ذهبت مصادر أخرى للقول إن لإيران مخططات استحواذ وهيمنة على الأراضي السورية، وهو ما لم يحصل بعد انتهاء الحرب. لكن أكّدت التحليلات الغربية أن إيران هي حليف سوريا الثابت الوحيد منذ العام 1979، وأنقذت حليفها في المنطقة، كما حافظت على جسر جوي لـ «حزب الله»، في لبنان، ورسّخت نفسها كحليف يمكن الاعتماد عليه في الأوقات الصعبة.

وفي حين كتبت الصحف العبرية عن استيلاء إيراني زاحف على سوريا، وتحويلها، مثل العراق ولبنان، إلى بلد "تحت سيطرة الشيعة"، أشارت في الوقت نفسه إلى أن طهران قدّمت مساعدة نظام بشار الأسد ضد موجات الإرهابيين. ومع استقرار النظام، اتجهت إيران إلى إنشاء "الهلال الشيعي"، وهو حزام جغرافي يمتد من لبنان إلى إيران، وأحد أهدافه مواجهة "إسرائيل".

أما الصحف العربية المؤيدة لمحور المقاومة، فرأت أن إيران كان لديها خطة واحدة في سوريا وهي تحريرها من الإرهاب، وعندما كان الظن أن الرئيس السوري بشار الأسد سيسقط خلال أسابيع أو أشهر رفضت طهران هذا الأمر وقدّمت له مختلف أشكال الدعم.

الميادين، خطة إيران الوحيدة في سوريا، 21 حزيران 2016

لا أمل على الإطلاق في تغيير إيران لاستراتيجيتها السورية، حتى من يوصفون فيها بالحمائم، هؤلاء إذا ما كانوا يناقشون ففي التكتيكات اللحظية، في التصريحات اليومية، في الخطط المرحلية، لكنهم في العام لا يختلفون عن الصقور في نظرتهم، لذا فهم وإن كانوا في خطوط المسير متباعدين بعض الشيء إلا أن جميع الطرقات من طهران تفضي إلى عنوان واحد في سوريا. ضمن الاستراتيجية ذاتها يتحرك حزب الله اللبناني الذي تبنى نظرية القنفذ لسنوات في حربه مع إسرائيل، وهو منذ اليوم الأول من تدخله في سوريا وضع أمامه الهدف المركزي ذاته للمحور الذي رغم كل شيء لا يزال قرار المواجهة لديه كما كان في اليوم الأول من المعركة، أو ربما أكثر.

عندما تحولت الأزمة السورية إلى حرب متعددة الأطراف كان الملف السوري قضية أمن إقليمي بالنسبة لمحور المقاومة عامة وإيران بشكل خاص. لم يبق في الجمهورية الإسلامية مسؤول إلا وتحدث في الشأن السوري، ولم يبق مسؤول في الطرف المناهض لإيران إلا ووصف وجهات النظر القادمة من طهران بأنها تقول أمراً واحداً، أن من يتولون زمام المبادرة إما منفصلون عن الواقع أو واهمون. كان الظن حينها أن الرئيس السوري بشار الأسد سيسقط خلال أسابيع أو أشهر على أبعد تقدير، لكن ذلك لم يحصل. تغيرت ظروف المعركة ومعطياتها، وتغيرت وجهات نظر كثيرين، حتى مقاربة الدول الكبرى اختلفت، أضحى الجهد منصباً بشكل أكبر على تدوير الزوايا للخروج بأقل الخسائر والدخول إلى تسوية قد لا ترضي كل الأطراف، لكنها على الأقل ترسم مشهد تعادل إيجابي على جثث 300 ألف سوري سقطوا في السنوات الخمس الماضية. حتى تدوير الزوايا على الطريقة الأميركية لم ترض به إيران، فكل تنازل سيلحقه تنازل وهكذا حتى ينتزع الثعلب من القنفذ كل الأشواك.

الأخبار، إحباط أعداء سوريا، 22 أيلول 2015

في هذه الأثناء، كان التحالف السعودي ـ التركي ـ القطري ـ الأردني، برعاية أميركية وفرنسية وبريطانية، يجرب حظه مرة أخرى. وأقدم على عمليات عسكرية كبيرة جنوب ووسط وشمال وشرق سوريا بغية تحقيق نجاحات تقود إلى تنازلات سياسية من جانب دمشق وطهران. كانت نتائج الفشل للمرة السابعة جنوب سوريا، قبل تعطيل غرفة «الموك» الموجودة في الأردن، ثم عدم القدرة على أي استثمار سياسي لتقدم الأترك ومجموعات «القاعدة» في مناطق إدلب، ونجاح الجيش السوري في وقف التقدم الذي بدأه تنظيم «داعش» من الناحية الشرقية لخط دمشق مع حمص. وفي كل الحالات، كان محور الإرهاب يحصد الخيبة السياسية، حتى وصل الأمر بالأميركيين إلى حد إعلان العجز عن تحقيق إنجازات كبيرة.

عند هذا الحد، لمس الأميركيون، كما الروس، أن المحاولات الجديدة قد تقود إلى استسهال دعم وصول «داعش» إلى خط حمص ـ دمشق، وفتح الطريق أمام «النصرة» نحو الساحل السوري. وهي خطوة ستكون نتيجتها، لو نجحت، خسارة الغرب والسعودية أي نفوذ أو قدرة على السيطرة على التنظيمات الإرهابية. لكنها خطوة كانت ستحتم تدخلاً إيرانياً من نوع مختلف جذرياً، وهو ما كان يترافق مع إعلان حزب الله استعداده لإرسال قوات كبيرة إلى سوريا لمنع حصول ما يهدد النظام في دمشق.

Axis Rising: Iran's Evolving Regional Strategy and Non-State Partnerships in the Middle East, Center for Strategic and International Studies, October 11, 2018

صعود المحور: إستراتيجية إيران الإقليمية المتطورة والشراكات غير الحكومية في الشرق الأوسط

غيّر تدخل إيران في حروب سوريا والعراق واليمن قوة ونطاق "محور المقاومة"، الشراكة المستمرة منذ عقود بين إيران وحزب الله والنظام السوري. لقد أمنت طهران موطئ قدم عسكري وشركاء ملتزمين ونفوذ دائم في كل مسرح.

لقد أوجد مرجل الحرب قوة عسكرية جديدة، وشرعية سياسية، وعقلية إقليمية بين شركاء إيران. تنظر هذه الجماعات إلى طهران وبعضها البعض كشركاء في ساحة المعركة وحلفاء أيديولوجيين وجناحين منفصلين في جبهة إقليمية مشتركة.

كما تعززت محاور إيران وتطورت كذلك علاقاتها مع طهران. تعمل المجموعات التابعة على طول طيف ديناميكي مع إيران من حليف إلى وكيل — تحدده قدرات المجموعات وتاريخها وتأثيرها مع إيران.

BBC, Iran and Syria: Alliance of shared enemies and goals, 8 June 2012

إيران وسوريا: تحالف الأعداء والأهداف المشتركة

أسّست إيران وسوريا تحالفًا قويًا، وعلى الرغم من أن زعيم إيران آية الله علي خامنئي يقود إدارة دينية، يقود الرئيس السوري بشار الأسد حكومة علمانية، وبينما تعد الدولة الأولى فارسية، فالدولة الثانية عربية. لكن منذ اندلاع الثورة الإسلامية في إيران عام 1979، وجد البلدان أسبابا وجيهة للتحالف.

"لقد نما تحالف بين إيران وسوريا في قضية مشتركة وأعداء مشتركين"، هذا ما كتبه جوبين جودارزي، أستاذ العلاقات الدولية في جامعة ويبستر في جنيف والمحلل في شؤون الشرق الأوسط. هذه الأهداف الاستراتيجية المشتركة أبقت هذا التحالف ثلاثة عقود، رغم المحاولات المتكررة لإفشاله.

وتاريخيًا، جاء تحالف الدولتين من أجل محاربة عدوهم المشترك الرئيس السابق صدام حسين ووقف التقدم الإسرائيلي في لبنان ومنع أي محاولات أمريكية للتدخل في الشرق الأوسط.

Washington institute, Iran's Military Intervention in Syria: Long-Term Implications, October 15, 2015.

التدخل العسكري الإيراني في سوريا: الآثار طويلة الأمد

لقد وضعت طهران الأساس لفرض تأثير طويل الأمد - ليس فقط من خلال إعادة تشكيل قطاع الأمن السوري بطريقتها، بل أيضاً من خلال توفير مليارات الدولارات من النقد والنفط للنظام بينما تخترق المجتمع المدني والاقتصاد السوري. وفي هذا السياق، أفادت بعض التقارير أن الكيانات الإيرانية تقوم بشراء العقارات وتؤسس الشركات وتتقدم بعطاءات للحصول على العقود الحكومية وتعزز التجارة لخلق شبكة من التبعية. كما وحاولت السلطات الإيرانية أن تضع يدها على الهندسة الديموغرافية، (من دون جدوى) عبر التفاوض على وقف إطلاق النار المحلي وتبادل السكان حول الزبداني وقريتي الفوعة وكفريا الشيعيتين. وباختصار، يبدو أن طهران تستخدم نفس قواعد اللعبة التي اتّبعتها لكسب النفوذ في العراق خلال العقد الأخير.

استمدّت طهران فوائد متعددة من المساعدات العسكرية والمالية التي قدمتها لسوريا. فمن خلال تدخلها في عام 2012، أنقذت حليفها الوحيد في المنطقة، وحافظت على جسر جوي لـ «حزب الله»، عميلها في لبنان، ورسّخت نفسها كحليف يمكن الاعتماد عليه في الأوقات الصعبة. وعندما تبيّن أن قدراتها الذاتية غير كافية، ضغطت إيران على روسيا على ما يبدو لكي تتدخل، الأمر الذي يزيد من التأكيد على التزامها بدعم حليفتها. وعلى العكس من ذلك، تحوّلت سوريا فعلياً من حليف لإيران و«حزب الله» إلى دولة تابعة مدينة بالفضل. يبقى أن نرى ما إذا ما كانت روسيا ستنضم إليهما بشكل متساوٍ أو كشريك أقدم. وعلى كل حال، هناك عدد من الآثار المحتملة طويلة المدى في المنطقة التي تترتب عن دور إيران في الحرب.

Carnegie Endowment For international peace, Iran: Syria's Lone Regional Ally, JUNE 09, 2014.

إيران حليف سوريا الإقليمي الوحيد

قليلة هي البلدان التي قد تخسر جرّاء انهيار نظام بشار الأسد في سوريا أكثر من جمهورية إيران الإسلامية حليفه الإقليمي الوحيد. فعلى الرغم من تعرّضها إلى عقوبات اقتصادية مرهقة بسبب طموحاتها النووية، أثبت دعم طهران المالي والعسكري الثابت أنه حيوي لاستمرار بقاء الأسد. بالنسبة إلى طهران، لا يتعلق الصراع السوري ببساطة بمن يسيطر على دمشق، بل هو يمثّل في نهاية المطاف بؤرة صراع إيديولوجي وطائفي وجيوسياسي أوسع نطاقاً ضد مجموعة متنوّعة من الأعداء، بمن فيهم الجهاديون المتطرّفون السنّة ودول الخليج العربية و"إسرائيل" والولايات المتحدة.

بالإضافة إلى كونها حليف إيران الثابت الوحيد منذ العام 1979، وفّرت سورية لطهران، في عهد بشار الأسد ووالده الراحل حافظ، رابطاً جغرافياً حيوياً مع ميليشيا حزب الله الشيعية اللبنانية، والتي يُعتبَر تأسيسها واحداً من أبرز إنجازات حكومة إيران بعد الثورة. وتُعَدّ سوريا وحزب الله عنصرين حاسمين في ما يسمّى محور إيران لمقاومة الولايات المتحدة وإسرائيل، حيث يُعتقَد أن جزءاً كبيراً من أسلحة حزب الله يأتي من إيران عبر مطار دمشق. وبالتالي فمن دون الأسد، يمكن لتلك الرابطة أن تنقطع.

وفيما لا يمكن إنكار دور إيران الكبير جداً في سوريا، فإن من المستحيل معرفة الحجم الدقيق للمساعدة المالية والعسكرية التي تقدمها طهران إلى نظام الأسد. فقد قدّمت إيران منذ فترة طويلة النفط المدعوم لسوريا، غير أن السخاء المالي الإيراني ازداد بشكل كبير منذ بدء القتال في العام 2011. وفي حين أكدت وسائل الاعلام الرسمية في كلا البلدين أن إيران قدّمت إلى سوريا أكثر من 4 مليارات دولار على شكل ائتمان (ظاهريًا لتمويل شراء البنزين والمنتجات المرتبطة به تفيد تقديرات غير مؤكَّدة بأن إيران تعطي سورية حوالي 700مليون دولار أميركي شهرياً).

"אפשרות בלתי מתקבלת על הדעת": האם איראן באמת נסוגה מסוריה?, The Regional Thinking Forum, May 31, 2020

كيف تحوّلت "إسرائيل" إلى مستشار إدارة ترامب للشؤون الفلسطينية

يجب أخذ أربع احتمالات في الاعتبار عند محاولة تقرير كيف ستنتهي الحرب بين "إسرائيل" وإيران. الأول أن تنسحب إيران من سوريا. إن هذا احتمال غير مقبول لعدد من الأسباب: ستفقد إيران بذلك موقعها كقائدة لمحور المقاومة لإسرائيل وستظهر على أنها تخلت عن حليفها. ستخسر ساحة مهمة يمكن أن تعمل من خلالها لمحاربة منافسيها في المنطقة، كما سيُنظر إليها على أنها خسرت الحرب الأبدية والوجودية والتكوينية مع إسرائيل. أخيرًا، قد يؤدي الانسحاب إلى أزمة ثقة في القيادة الإيرانية: إذا جاءت إيران إلى سوريا لضرورة وجودية للدفاع عن نفسها، فماذا يعني الانسحاب؟ هل هذا دليل على أن الحديث عن تهديد وجودي كاذب؟ هل الاحتمال المعاكس صحيح وصناع القرار في طهران يعرضون أمن إيران للخطر لتجنب المواجهة مع "إسرائيل"؟ هذه مشاكل تخشى إيران مواجهتها، وبالتالي، ستمتنع عن الانسحاب من سوريا قريبًا.

وكجزء من الخيار الثاني، لن تنسحب إيران من سوريا للأسباب نفسها المذكورة، لكن "إسرائيل" ستواصل إلحاق خسائر فادحة بها وستواصل إيران استيعابها. هذا الاحتمال يمثل أيضًا إشكالية بالنسبة لإيران لأنه لا يوجد مخرج واضح للخروج منه: لا يبدو أن "إسرائيل" هي التي أوقفت هجماتها في أي وقت قريب ولا يظهر القتال في سوريا أي بوادر للتراجع أيضًا. في الواقع، في إدلب في شمال سوريا، إذ ظهر جيب قوي ومستمر لمقاومة نظام الأسد بمساعدة تركية، يبدو أن القتال يتصاعد فقط. لذلك فإن هذا الخيار سيكلف إيران أسعاراً باهظة وفي الحقيقة سيعتبر حالة خسارة مؤكدة لها.

Mida, **הכיבוש השקט: כך השתלטה איראן על סוריה לחלוטין, 2 december, 2012.**

الاحتلال الهادئ: هكذا استولت إيران على سوريا بالكامل

كانت أهداف إيران المباشرة في سوريا:

لمساعدة نظام بشار الأسد ضد موجات الإرهابيين الذين تمولهم وتسلحهم وتديرهم المملكة العربية السعودية وتركيا. مع استقرار النظام، اتجهت إيران إلى إنشاء "الهلال الشيعي"، وهو حزام جغرافي يمتد من لبنان إلى إيران.

الاستفادة من الوضع الفريد على الأرض الذي سمح لإيران بإنشاء جبهة ضد "إسرائيل" (عدوها الرئيسي) ابتداءً من جنوب لبنان إلى جنوب الجولان السوري، بينما تواصل بناء وسائل حزب الله على طول الحدود بين "إسرائيل" ولبنان.

القيام بدور مركزي في إعادة بناء سوريا، مع الحصول على الأصول الاستراتيجية في البلاد. على سبيل المثال، الحصول على التفرد في إدارة ميناء اللاذقية، وهو باب على البحر الأبيض المتوسط وبديل بحري لطرق الشحن في منطقة الخليج الفارسي.

بعد ثماني سنوات من اندلاع الحرب الأهلية، يتطور هدف إيراني استراتيجي آخر في سوريا. إلى جانب استمرار التأسيس والتحصين العسكري ضد "إسرائيل" في لبنان وسوريا، واستمرار تواجد القوات الموالية لإيران المنتشرة بشكل رئيسي في مواقع في دمشق، هناك استيلاء إيراني زاحف على سوريا، وتحويلها، مثل العراق ولبنان، إلى بلد تحت سيطرة الشيعة.

في الوقت نفسه، واصلت إيران جهودها لخلق جبهة أخرى ضد "إسرائيل" في منطقة الجولان في حالة حدوث صراع عسكري بين إسرائيل وإيران و"إسرائيل" وحزب الله أو بين الولايات المتحدة وإيران. حزام العمق الاستراتيجي الشمالي الذي يبدأ في لبنان وينتهي بأفغانستان ويعمل بجانب الحزام الجنوبي الذي يشمل اليمن، وهذا ما يدل عليه تصريح العضو البارز في الحرس الثوري ماجد مزاحي الذي قال: "إذا سحبنا قواتنا الدعم على جبهاتنا (سوريا ولبنان) سيصل العدو لحدودنا ". وهذا البيان عززه القائد السابق للحرس الثوري السيد يحيى رحيم صفوي الذي قال: "حدودنا الدفاعية في جنوب لبنان ضد "إسرائيل". وصل عمق دفاعنا الاستراتيجي إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط فوق "إسرائيل". يخشى الغربيون من انتشار النفوذ الايراني من الخليج الفارسي الى البحر المتوسط".